العمارة في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)

فوزي أبو بكر عبد الكريم

باحث ماجستير في التاريخ الإسلامي

كلية الآداب جامعة حلوان

كانت الدولة الأموية ثاني دولة في تاريخ الإسلام، وحكمت تسعة عقود من (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) وقد توالي على الخلافة في فترة الدولة الأموية ما يقرب من أربعة عشر خليفة، استطاعوا تأسيس دولة موتدة الأركان، ووصلوا بحدود دولتهم إلي أقصي اتساع عرفه العالم آنذاك، واستطاعوا نشر الدعوة الإسلامية، وتعاليم الدين الإسلامي.

ويرجع الفضل في تأسيس أركان الدولة الأموية لمعاوية بن أبي سفيان، حيث استطاع أن يعيد إلي الدولة الإسلامية قوتها وقوامها بعد خمس سنوات عاشت فيها الدولة الإسلامية فتن وصراعات وحروب داخلية أنهكتها، وظل الوضع هكذا حتى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، وعرف هذا العام بـ "عام الجماعة" ويعتبر هذا العام نقطة تحول خطير في التاريخ الإسلامي؛ لأن الدولة الإسلامية أصبحت تحت حكم خليفة واحد هو "معاوية بن أبي سفيان". وقد استطاع خلفاء الدولة الأموية إقامة العديد من المنشئات المعمارية، وسوف نتحدث عن نموذج منها في هذا البحث وهو أهم المنشئات المعمارية فى عهد الوليد بن عبد الملك.

أولاً: نشأة الوليد بن عبد الملك وتولية الحكم.

١- نسبه وكنيته ومولده.

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ، وكان الوليد يكنى أبا العباس، وأمه ولادة العبسية [١]، وهي ولاَّدة بنت العباس بن جزئ بن الحارث بن زهير بن جذيمة من عبس بَغيض [٢]، وأجمع رأي النسابة على أن أم الوليد من عبس ولكن هناك اختلاف بين النسابة في كتابة اسم جدها [٣]، ولد بالمدينة في دار عبد الملك في بنى حديله سنة اثنين وخمسين، وقيل إنه ولد سنة خمسة وأربعين، وذكر ابن منظور أن مولده كان سنة خمسين. [٤].

واختلف المؤرخين والرواة في سنة مولد الوليد فيجعلونها ما بين سنة سبع وأربعين للهجرة وسنة أربع وخمسين [٥]، وتشير بعض المصادر إلى أنه ولد بالمدينة في سنة خمسة وأربعين كما ذكرها ابن خياط وابن منظور. أما ما تؤكده المصادر والمراجع على الرغم من اختلافها في سنة مولده هو أن الوليد قد ولد في خلافة "معاوية بن أبي سفيان"، حين كان يقيم أبوه مع أسرته في المدينة [٦].

٢- صفاته الخِلْقِية ونشأته.

كان الوليد طويلاً أسمر، واسع الوجه، جميلاً، أفطس، في وجهه أثر جدري، بمقدّم لحيته شيب ليس في لحيته ورأسه غيره [٧]، كان عريض الأكتاف، أدعج [٨]، جهير الصوت، كبير العينين أكحلهما، عريض الزند، فطناً، وكان قليل المعرفة بالأدب لكونه تربي في القصور[٩] مهيباً، شجاعاً [١٠].

أما عن نشأة الوليد فقد كان أبوه وأمه يترفانه، فكان إذا مشى تَبَخْتَرَفي مشيته، وكان سائل الأنف [١١]، وهذه النشأة أثرت فيه فكان الوليد لحاناً -أى لا يحسن النحو- وكان عبد الملك يقول: فقد أضرنا بالوليد حبنا له فلم نعربه في البادية [١٢]، وكان قليل العلم [١٣]، وكان ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب [١٤]، وكان كثير تلاوة القرآن، فكان يختم القرآن كل ثلاث أيام، وقيل كل سبعة أيام، وكان يختمه في رمضان سبع عشرة مرة [١٥].

أما عن تربية الوليد ونشأته فإن عبد الملك بن مروان عنى بتربية أولاده عناية كبيرة، وحثهم على اصطناع المعروف وحملهم على مكارم الأخلاق وكان يوصيهم بتعلم لغة العرب وكان يقول "أنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم" كما ذكرنا آنفاً. وكان دائمًا يقدم لهم النصائح الغالية وأهم هذه النصائح ما جاء في وصيته لأولاده عامة والوليد خاصة قبل وفاته [١٦]. وقد أهتم بتربيتهم تربية دينيةً فنشأ الوليد نشأة دينية فكان يقرأ القرآن ويداوم عليه، كما حج بالناس في سنة ٧٨هـ في عهد أبيه، وحج بهم أيضاً سنة ٩١هـ [١٧]. أما عن جانب تربية الوليد العسكرية والإدارية والسياسية فيتضح تدريبه على فنون القتال وكفاءته العسكرية وقد خرج الوليد لغزو أرض الروم من ناحية ملطية [١٨] فغنم وسبا، وكان ذلك في عهد أبيه في سنة ٧٧هـ [١٩].

أما عن الجانب الإداري والسياسي عند الوليد بن عبد الملك فيرجع الفضل في تدريبه على الإدارة والسياسة إلى أبيه، واتضح ذلك الأمر عندما كان يتركه أبوه نائباً عنه في ولاية دمشق، وذلك في حياة عبد الملك وكانت ولاية دمشق لا يلي أمرها إلا من يكون على دراية إدارية وحنكة سياسية ومن الواضح أن عبد الملك كان يدرب الوليد على هذه الأمور وإلا لم يتركه نائباً عنه على ولاية دمشق [٢٠]، وتؤكد الدكتورة سيدة الكاشف على ذلك بقولها إن الوليد كان الساعد الأيمن لأبية في خلافته [٢١]. أما عن السياسة فكان يقال: "لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال

إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة". وكان الوليد يقول لأهل الشام:" إنما أنا لكم كالظليم الرائح عن فراخه، ينفى عنها القذر، ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب، يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العُدة والحذاء" وما ذكر كان دليل على سياسته في احتواء أهل الشام. وقال الوليد بن عبد الملك: يا أبت ما السياسة؟ قال: هي "هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع" وهذه الأمور التي ذُكرت خير دليل على تربيته عسكرياً وإدارياً وسياسياً، ومدي حرصه على تفهم أمور السياسة والإدارة، والسؤال عنهما دائماً [٢٢].

ثانياً: - توليه الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م).

دخل الوليد على أبيه عند وفاته فنظر إليه عبد الملك فوجده يبكي عليه عند رأسه فقال: يا هذا أحنين الحمامة؟ إذا أنا مت فشمر واتّزِرْ، وألبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه. ثم جعل يذم الدّنيا، ويقول: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وإن كنا منك لفي غرور. يتضح من هذه الكلمات البسيطة ما يوصيه عبد الملك لابنه الوليد وأن يكون قوياً حازماً بقوله له" شمر واتزر، والبس جلد النمر" وأراد منه ألا يبكي وشبه في ذلك بالحمامة وحنينها. وأراد منه أن يقبض على الأمور بيد من جمر، حتى لو كان في ذلك ضرب الأعناق. وأخذ يذم الدنيا، وأنها هي الغرور، والفناء منها لابد مهما طال بك العمر فيها.

ثم أقبل على جمع أولاده، فقال: "أوصيكم بتقوى الله؛ فأنها عصمة باقية، وجنة واقية، فالتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وهي أحصن كهف، وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، مع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور، وإياكم والبغي والتحاسد، فبهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المكنون، يا بني: أخوكم مسلمة [٢٣]، نابكم الذي تفترون عنه، ومحبكم الذي تستحبون به، أصدروا عن رأيه، وأكرموا الحجاج؛ فأنه وطّأ لكم هذا الأمر، كونوا أولاداً أبراراً، وفى الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، وعليكم السّلام". ولما فرغ من وصيته سأله بعض بني أمية: كيف نَجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: قول الله تعالى " وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ"[٢٤]، وكان هذا آخر كلامٍ سُمِعَ منه [٢٥]. وخلاصة الوصية هي تقوي الله في الدنيا والاتحاد فيما بينكم وعدم الفرقة لأن فية ضعفكم. وإكرامكم لمن أراد استقرار دولتكم.

وفاة عبد الملك وتولية الوليد الخلافة.

مات عبد الملك بن مروان فسجاه ابنه الوليد وصلى عليه ودفن في خارج باب الجابية الصغير[٢٦]. بعد أن رجع الوليد من دفن أبيه لم يدخل داره، ونادى في الناس: الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر، فخطب الوليد بن عبد الملك في الناس؛ فحمد الله وأثني عليه، ثم قال: "أيها الناس، لا مؤخر لما قدم الله، ولما مقدم أخر الله، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه من الموت، موت ولي هذه الأمة، ونحن نرجو أن يصير إلي منازل الأبرار، الذى كان عليه من الشدة على المريب، واللين على أهل الفضل والدين، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه، وحج هذا البيت، وغزو هذه الثغور، وشن الغارات على أعداء الله؛ فلم يكن فيها عاجزًا، ولا واتيًا، ولا مفرطًا؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الفذ، وهو من الجماعة أبعد واعلموا أنه من أبدي لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه."، ثم بعد ذلك أمر الوليد الناس بالطاعة والاستقامة حتي تسير أمور الدولة كما كانت وأفضل، ثم بعد ذلك أمر الناس بالبيعة، فقاموا فبايعوا[٢٧]. فكان أول من قام فبايع الوليد هو "عبد الله بن همام السلولى" فأنه قام وهو يقول:

الله أعطاك التي لا فوقها	وقد أراد الملحدون عَوْقَهَا
عنك ويأبى الله إلا سوقها	إليك حتى قلدوك طَوْقَهَا

فبايعه، ثم تتابع الناس على البيعة[٢٨]، وكانت مبايعة الوليد في شهر شوال في سنة ٨٦هـ باتفاق المؤرخين، ولكن اختلفت الآراء في أي يوم من الشهر فرأي يذكر أنها في يوم الخميس في العاشر من شوال، ورأى يذكر أنها في منتصف شوال من سنة ٨٦هـ[٢٩]. أما عند تولية الوليد الخلافة اختلفوا في سِنه فرأى يذكر أنه تولى وعمره ٣٦ سنة[٣٠]، ورأى أخر يقول كان عمره ٣٤ سنة وبالطبع ما دام هناك اختلاف في تاريخ مولده فسيكون هناك اختلاف في سن توليته الخلافة وفى سن وفاته وإلا لو عرف سن توليه بالتمام كان من السهل تحديد سنة مولده وفترة حكمه وسِنُه عند وفاته بل هناك اختلاف في سنين وليس أيام أو شهور[٣١].

ثالثًا: العمارة في عهد الوليد بن عبد الملك

من الحقائق المعروفة أن العمارة تتميز من بين الفنون والعلوم والآداب، بأنها أهم المراجع وأصدقها؛ لتسجيل وتجسيم مراحل الحضارات في تطوراتها وعصورها المختلفة، وقد

سجلت العمارة الإسلامية منذ بدايتها وإلى أيامنا هذه صورة واضحة عن تلك العصور، ومن بين أهم تلك النماذج نموذج العمارة في عهد الوليد بن عبد الملك [٣٢] والذي سوف نتناول فيه عمارة المساجد وبناء القصور والمنشآت الاجتماعية ودور الضيافة. ودور هذه المنشآت المعمارية في الحضارة والنهوض بالدولة الإسلامية.

بناء المساجد:

يعتبر المسجد أول وأهم معالم الفن الإسلامي، فالوظيفة الأساسية للمسجد هي الصلاة، كما أن المسجد في العصور المبكرة للإسلام كان مركزًا للحكم والإدارة والشورى والدعوة. بالإضافة إلى أنه مكانًا للعلم والتدريس والإفتاء في أمور الدين والدولة، ولذا ارتفعت مكانته بين المسلمين جميعًا، وكان هناك العديد من المساجد التي أنشأها المسلمون في تلك الفترة ومنها ما أدخلوا علية توسعات، ومنها ما قاموا بتجديده، وسنبدأ في عرض المساجد كل مسجد على حد سواء.

كان الوليد بن عبد الملك من أشهر خلفاء بني أمية وهو أكثرهم عناية بالبناء والعمران ولقد لقب "مهندس بني أمية"، وكان الوليد مترفًا محبًا للبناء والعمارة [٣٣]، وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم فقد اهتم الوليد ببناء المساجد فأنشأ المسجد الأموي في دمشق، ووسع مسجد النبي (ﷺ) وزخرفه بالمدينة [٣٤]. كان بناء المسجد الجامع في الإسلام أساس العمران في المدن الإسلامية فمنذ فجر الإسلام، كان المسلمون عند تخطيط المدينة يبدؤون ببناء المسجد أولاً وذلك لإضافة الطابع الإسلامي للمدينة، وما يلبث أن يقوموا ببناء الدور، ومختلف الأبنية حول المسجد [٣٥].

المسجد الحرام: يقع في مكة المكرمة، وقد كرم الله مكة لأن بها البيت الحرام والمسجد الحرام خير تكريم وتشريف لها، فجاء ذكرها في القرآن الكريم بأسماء عدة، ومنها: بكة [٣٦]، والبلد الأمين...) وهي من أهم مدن الحجاز في شبة الجزيرة العربية لمكانتها الاقتصادية (لأنها تفد إليها رحلات الشتاء والصيف) والدينية [٣٧].

في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان أدخل بعض الإصلاحات في المسجد الحرام، وهي: أمر برفع جدران المسجد الحرام لحمايته وفصله عن المباني السكنية المجاورة له، وعمل مصدات

للبيوت الملاصقة للمسجد لتحول دخول السيول إلى الحرم، فصرف عبد الملك بن مروان المال الكثير في ذلك، ثم قام بتسقيف أروقة المسجد بأخشاب من السياج الحديد، وزين أعمدة الكعبة بالذهب، وأهدى إليها شمسيتين من الديباج وقدحين من زجاج، وإضاءة ما بين الصفا والمروة بالقناديل ليلًا[٣٨]، ويذكر الأزرقي أنه رفع مصباح كبير مقابل الركن الأسود مرفوعًا على عمود وضعه في طرف صحن المطاف بالقرب من بئر زمزم، وكسا الكعبة المشرفة بالديباج، وكان يرسلها سنويًا في مواسم الحج، وترسل من دمشق إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة، وكان يرسل بالطيب (أي المسك أو العطر) إلى الكعبة وإلي مسجد رسول الله(ﷺ) [٣٩].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦هـ)، عَمر المسجد الحرام، وكان إذا عمل المساجد زخرفها، ونقض عمل أبيه وعمل عملًا محكمًا، وهو أول من نقل أساطين الرخام، وجعلها رواقًا واحدًا بمحيط صحن المطاف، وسقفه بأخشاب الساج المزخرف، وجعل رؤوس الأعمدة الذهبية صفائح من الصفر، وجعل في وجه الطيقان(الأقواس فوق الأعمدة)، وفي أعلاها وضع الفسيفساء، ويعد الوليد أول من عمله في المسجد الحرام، وأدخل الشرفات في المسجد الحرام، كما قام بوضع آزار من الرخام داخل المسجد[٤٠]، واستبدال ميزاب من الذهب بميزاب الكعبة، وأهدى للكعبة هلالين وسريرًا من ذهب، وأرسل إلى عامله مع كل ما سبق قدحين من قوارير علقت في جوف الكعبة. وهو أول من فرش أرض الكعبة المشرفة بالرخام الأحمر والأبيض المرسل من الشام إلى مكة.

وتتميز عمارة الوليد بن عبد الملك بأنها عمارة قوية ومحكمة، وتشبه إلى حد كبير العمارة الأموية للمسجد الجامع بدمشق، وقد زادت مساحة المسجد الحرام من الناحية الشرقية منه، وقدرت هذه الزيادة بحوالي ٢٣٠٠ متر مربع، وبلغت مساحة المسجد الحرام الكلية في عهده بعد الزيادة حوالي ١٠٧٤٠ متر مربع، وقد انتهي من أعمال العمارة في سنة ٩١ هـ/٧٠٩م، وكان الوليد بن عبد الملك آخر خلفاء الدولة الأموية في عمارة المسجد الحرام أو الكعبة المشرفة [٤١].

المسجد النبوي في المدينة المنورة: له مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، وله دورًا كبيرًا في التاريخ والحضارة الإسلامية عامة وفي تاريخ المدينة المنورة والعمارة الإسلامية خاصة. كما أن المسجد النبوي الشريف ظهر كعلامة بارزة على تطور العمارة الإسلامية عامة وعمارة المساجد خاصة،

فقد كان تخطيطه النموذج الأول الذي صحبه العديد من التطورات والاختلافات التي تطورت بتطور الأحداث والزمن [٤٢]. وقد مرت عملية توسعة المسجد والعمارة فيه بالعديد من الأطوار، وتوالت عمليات التجديد عبر العصور حتى عهد الوليد بن عبد الملك [٤٣]. وفي عهد الوليد بن عبد الملك عهد إلى عامله في المدينة عمر بن عبد العزيز (٨٨-٩١ هـ/ ٧٠٦-٧٠٩م) يأمره بهدم حجر أزواج النبي (ﷺ) وإدخالها في المسجد وبنائه، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، وعندما أخذ في العمل أرسل إليه الوليد الفعلة، وروي أن الوليد بعث إلي إمبراطور الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله (ﷺ)، وأن يعينه فيه، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب، ومائة عامل، وبعث إلية بأربعين حِمْلا من الفسيفساء، فبعث بذلك الوليد إلي عمر بن عبد العزيز [٤٤]. أما عن رواق المسجد فيذكر البعض عنه أنه يمثل النموذج الأول في عمارة المساجد الإسلامية، فنفذ بطريقة معمارية متقنة للغاية [٤٥]، وقد تمت المحافظة على بعض العناصر والوحدات الرئيسية بالمسجد خلال التجديدات، فكان حرص الأمويين على المحافظة بقدر الإمكان على الأسلوب المعماري على عهد النبوة [٤٦].

الجامع القبلي: أو ما يعرف باسم "المصلي الجامع" والمعروف لدي البعض المسجد الأقصى تجاوزًا، قد بني في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وأتمه ابنه الوليد، ويبلغ طوله من الداخل ٨٠ مترًا وعرضه ٥٠ مترًا [٤٧].

<u>مسجد قباء بالمدينة المنورة:</u> يقع في قرية صغيرة جنوب المدينة المنورة، وسمي بهذا الاسم نتيجة بئر يسمي قباء، وكان المسجد يقع في وسط القرية قديمًا، وأصبح لهذا المسجد مكانة عظيمة في المجتمع الإسلامي الوليد حيث أنه أول مسجد أسس، وقد أسسه الرسول (ﷺ) عقب وصوله لقباء متجهًا إلى المدينة المنورة، ومكث بها بضع أيام في ضيافة بني عمرو بن عوف. وكانت أرض المسجد مربدًا لتجفيف التمر، يمتلكه كلثوم بن الهدم (رضي الله عنهم جميعًا). وشارك الرسول (ﷺ) الصحابة في بناء مسجد قباء بيديه، فكان ينقل معهم الحجارة، وكان الرجل يأتيه بها فيقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا أكفيك، فيقول (ﷺ) "لا خذ مثله" حتى أسسه. كما أن عبد الله بن رواحه ينشد أبياته، وينشد المؤمنون بعده: أفلح من يعالج المساجدً يقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا، وكان الرسول (ﷺ) يردد معهم "المساجدً، قاعدا"[٤٨].

وكان المسجد متواضعًا في بنائه، وزاد فيه عثمان بن عفان (ﷺ)، وفي عهد الوليد بن عبد الملك أمر عمر بن عبد العزيز أثناء ولايته على المدينة أن يقوم بتوسعات في المسجد فقام بتوسيعه، وعمل له منارة (مئذنة)، وسقفه بخشب الساج، وجعل له أروقة حول صحن المسجد تقوم على أعمدة حجرية، وقد زاد فيه عمر بن عبد العزيز وجعل منارته بارتفاع يبلغ ٥٠ ذراعًا، وارتفاعه ١٩ ذارعًا، وجعل له ٣ أبواب، و٣٣ أسطوانة[٤٩].

المسجد الأموي الكبير (الجامع بدمشق): كان مكان هذا المسجد مخصص للعبادة منذ مئات السنين، وقد أقيم فيه الآراميين معبدًا لإلههم (حَدَدْ) في القرن السابع قبل الميلاد، ثم شيد في العهد الروماني مكانه معبدًا للإله "جوبتير"، ومع تحول دمشق للمسيحية وأصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، تحول المعبد الروماني في القرن الرابع الميلادي إلى كنيسة عرفت ب "كنيسة يوحنا المعمدان". ومع الفتح الإسلامي أخذت نصف الكنيسة الشرقي لتصبح مسجدًا للمسلمين [٥٠].

ويذكر ابن تغري بردي في النجوم أن الخليفة الوليد بن عبد الملك قد شرع في بناء جامع دمشق سنة ٨٧هـ/٧٠٥م، وكان نصفه كنيسة للنصارى، وعلى ذلك صالحهم أبو عبيدة بن الجراح؛ فقال لهم الوليد" إنا قد أخذنا كنيسة مريم عنوة فأنا أهدمها، فرضوا بهدم هذه الكنيسة وإبقاء كنيسة مريم، والمحراب الكبير هو مكان باب الكنيسة[٥١]"

ويعد أول محراب في الإسلام هو محراب الصحابة الذي أقامه المسلمون الأوائل على الجدار الجنوبي. أما في عهد الوليد بن عبد الملك فتشير بعض الروايات أن حدود الجامع تدخل ضمن جدران معبد وثني قد أزيلت تمامًا، ومع اتساع دمشق في عهد الوليد بن عبد الملك، وأصبحت عاصمة الخلافة الأموية، لم يكن المسجد كافيًا للمسلمين، ولا يلبي حاجات المسلمين، ولذا يقول ابن الفقيه (ت ٢٩٠ هـ/٩٠٣م) أن الوليد بن عبد الملك دعا نصارى دمشق وخطب فيهم قائلًا "إنا نريد في مسجدنا كنيستكم هذه ونعطيكم موضع كنيسة حيث شئتم. فحذروه ذلك، وقالوا: إنا نجد في كتابنا أنه لا يهدمها أحد إلا خنق. فقال الوليد: فأنا أول من يهدمها. فقام عليها، وعليه قباء أصفر فهدمها بيده، وهدم الناس معه، ثم زاد في المسجد"[٥٢].

وفي سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م أمر الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق وعند بداية البناء وجد الوليد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية، فعرضه على جماعة من أهل الكتاب، فلم يقدروا على قراءته، فوجهَ به إلى وهب بن منبِه، فقال: "هذا مكتوب في أيام سليمان بن داود عليهما السلام، فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، يا ابن آدم، لو عاينت ما بقي من يسير أجلك، لزهدت فيما بقي من طول أملك، وقصرت عن رغبتك وحيلك، وإنما تلقى ندمك، إذا زَلَّتَ بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وانصرف عنك الحبيب، وَوَدّعَكَ القريب، تم صرت تدعى فلا تجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الفوت، وقبل أن يؤخذ منك بالكَظْم، ويحال بينك وبين العمل"، وكتب زَمَنَ سليمان بن داود، فأمر الوليد أن يكَتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد، "ربُّنَا الله، لا نعبد إلا الله"، وأمر بهدم الكنيسة التي كانت فيه عبدُ الله الوليدُ أميرُ المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين، ثم أمر ببناء هذا المسجد، وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق[٥٣].

وقد أكد الحافظ في كتابه الذهبي على هذه الرواية التي ذكرها الفقيه، فيشير إلى أن نصف المسجد كان كنيسة للنصارى، والنصف الآخر مسجدًا للمسلمين، واستطاع الوليد هدم الكنيسة إلا حيطانها الأربعة وأنشأ قبة النسر والقناطر وحلاه بالذهب والجواهر وستور الحرير، وظل العمل في المسجد طيلة تسع سنين. وأنفق عليه الأموال الكثيرة حتى جعله نزهة للناظرين [٥٤]. ويعد جامع الوليد انطلاقة مهمة في العمارة الإسلامية الجديدة، فعمارته غير مألوفة في تشييد المساجد السابقة، فيقوم على مبادئ معمارية جديدة شيدت بعده الجوامع الكبرى على غراره في الأمصار الإسلامية، والجامع الكبير في عهد الوليد قسم إلى قسمين: بيت الصلاة، وصحن الجامع [٥٥].

وكان الجامع بجانب كونه للصلاة، كان له دروًا بارزًا في أعمال الدولة الإسلامية في عهد الدولة الأموية، فكان الخليفة يستقبل عماله، ورسله فيه، ويقضي بين الناس ويفصل بن الأمور الجليلة، إذ يقع قصر الخليفة ملاصقًا للجامع، وكان معاوية أول من أوجد المحراب فيه، وكذلك أول من استعمل المنبر وخطب فيه جالسًا، ثم أنشأ المقصورة فيه على حد ما ذكره اليعقوبي، ولعب المسجد أيضًا دوره البارز مع أهل العلم، فكانوا يدرسون ويتدارسون فيه، وفيه اعتكف العلماء على دراسة الكتب والتدريس، وكان للجامع رواده من الغرباء وأهل الطلب كثيرة[٥٦].

مسجد عمرو بن العاص: بني هذا المسجد في سنة ٢١ هـ/ ٧٤٢م في ولاية عمرو بن العاص لمصر، وكان طوله خمسين ذراعًا في عرض ثلاثين ذراعَا، وكان المسجد له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص، وبابان من الجهة البحرية، ومثلهم من الجهة الغربية، وكان طول المسجد من القبلة إلى الجهة البحرية مثل طول دار عمرو بن العاص. أما عن التوسعات في هذا المسجد فكانت أول زيادة فيه في عهد معاوية بن أبي سفيان وكان على ولاية مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري وفي سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م زاد فيه من الجهة البحرية وبيضه وزخرفه، ولم يغير البناء القديم. وفي عهد عبد العزيز بن مروان زاد في المسجد من الناحية الغربية. وفي عهد الوليد بن عبد الملك أمر قرة بن شريك والي مصر سنة ٩٢هـ/٧١١م أن يقوم ببناء جامع مصر، وابتدأ البناء في هذا العام، وأسند قرة أمر البناء إلى "يحيي بن حنظلة مولي بن عامر بن لؤي"، وكانوا يصلون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه في رمضان سنة ٩٣هـ/٧١٢م، ونصب به منبر جديدة [٥٧].

مسجد صنعاء الجامع: تقع صنعاء في اليمن، فهي أحسن بلادها، أما عن المسجد ومساحته عند تأسيسه فلم تكن واسعة، بل كان مربع الشكل، يبلغ طول ضلعه اثنا عشر مترًا تقريبًا، وأساساته يرجح البعض أنها أخذت من أنقاض قصر غمدان. ومع دخول المسلمين أفواجا في الدين الإسلامي، ضاق المسجد بهم، فما كان من الوليد بن عبد الملك إلا أن قام بالكتابة إلى واليه في اليمن ويدعي أيوب بن يحيي الثقفي، وأمره بأن يزيد في مساحة مسجد صنعاء، ويبنيه ببناء جيدًا محكمًا، وحاكي في بنائه مسجد دمشق، وجعله مؤلفًا من حرم، وصحن ومئذنة ومحراب، ومنبر [٥٨].

بناء القصور: تمتع الأمويون بالحس الفني الممتاز، فكانوا يهتمون بالترف والأبهة في بناء القصور، وعملوا على تزيينها بالزخارف النباتية والهندسية. في بادئ الأمر تميزت القصور الأموية بأصالة الفن والانجذاب نحو البادية، فكانت مصدرًا لوحي الشعراء وإلهام الحكماء، وكان الهدف من بناء القصور أن يقضون بها أوقاتا طلبًا لراحة البال والاستجمام، ونظرًا لحب بني أمية إلى الصحراء وبعضهم كان يميل إلي حياة البداوة والعيش في الصحراء، وكان الوليد من الذين يحبون الصحراء ويفضلون السكن فيها [٥٩]. وقد شيد الوليد بن عبد الملك العديد من القصور، وفي هذا العرض التالي نستعرض لأهم القصور التي شيدت في عهده.

١. قصـــر البرقع: بني في عهد الوليد بن عبد الملك، ويتكون من فناء تحيط به الجدران من أربعة جوانب، ويشتمل على فناء من مساحة غير منتظمة في أحد زواياها برج مستطيل، ويتسم القصر بســمتين هامتين في العمارة الأموية الأولي: هي الحجرة المقببة، والثانية مجموعة الحجرات حول الفناء المركزي [٦٠].

٢. قصر المنية (الميناء): تم بناء هذا القصر في فلسطين القرب من الشاطئ الشمالي لبحيرة طبرية في عهد الوليد، وبنيت جدرانه من أحجار، أما أرضيته من الفسيفساء والرخام، وزينت القاعات بلوحات فنية رائعة [٦١]. وتعود الأعمال الكشفية له في عام ١٩٢٢م، ويتكون القصر من مساحة مستطيلة تمتد بشكل رأسي من الشمال إلى الجنوب، ويحوي القصر على أبراج نصف دائرية، ويشت٦٩مل القصـر في كل ركن من أركانه الأربعة على برج زاوية، ومن خلال الحفريات التي تمت في هذا القصـــر أشـــارت إلى وجود رواقًا يلتف حول الحصـــن من الجوانب الأربعة، كما عثر على بقايا ألواح رخامية في أرض وجدران القاعة، وتزين جدرانه بالفســيفســـاء، والأرض مغطاه بفسـيفسـاء زجاجية صـغيرة بعضـها ملون، والآخر مطعم بأوراق الذهب، واشـتمل أيضًـا القصـر على وجود مسجد في الزاوية الجنوبية الشرقية من عمارة القصر، وقد توصلت الاكتشافات عن محرابه في عام١٩٣٧م [٦٢].

٣. قصـــر الحرانة (الخزانة): ينتمي هذا القصـــر لعهد الوليد بن عبد الملك، عثر فيه على كتابة كوفية، ويقع على بعد ٦٥ كيلو متر من شرق وجنوب شرق عمان بالأردن، وبني على هيئة مساحة مربعة الشكل وتبلغ نحو ٣٦,٥٠ متر من الشمال إلى الجنوب، ويمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٣٥,٤٥ متر. ويتكون قصـــر الحرانة من طابقين أحدهما يمثل الطابق الأرضـــي، والآخر الطابق الأول؛ ويشتمل كل منهما على سور وأبراج شبه دائرية، بواقع برج في كل ركن، كما يشتمل كل من الجانبين الشـرقي والغربي على أربع فتحات، بواقع فتحتين في كل جانب، وتحيط بهذا الفناء ظلة من الجوانب الأربعة، وهي متماثلة في الجهات الأربع [٦٣].

٤. قصر عنجر (عين الجر): يقع في منتصف الطريق بين دمشق وبيروت، فيبلغ مساحته ٣١٠ متر من ناحية الشـرق والغرب، بينما ٣٧٠ متر من ناحية الشـمال إلى الجنوب، ويبلغ سـمك جدرانه حوالي ٢ متر، ويتكون من أربعة أركان ذات أبراج شـــبه دائرية، ويشـــتمل على أربعة مداخل في الجدران الأربعة [٦٤].

٥. قصير عمرة: وشيده الوليد بن عبد الملك، وهو عبارة عن استراحة في الصحراء فيها حمام[٦٥]، وهو يقع على بعد خمسين ميلًا شرق مدينة عمان، واكتشف علي يد العالم النمساوي ألوا موزيل Musil ١٨٩٨م، وهو بناء صغير بني بالحجر الجيري الكسلى المشوب الحمرة[٦٦]، ويتكون القصر من قسمين رئيسين أحدهما قاعة الاستقبال والآخر الحمام؛ فقاعة الاستقبال تتكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب من خلال ثلاثة أروقة يفصلها عقدان على هيئة نصف دائرية، ويغطي كل رواق منها سقف من قبة نصف برميلي، أما القسم الثاني وهو الحمام فيتجه إليه من خلال قاعة الاستقبال عن طريق الرواق الشرقي، وبه ثلاث قاعات: قاعة باردة، وقاعة دافئة، وقاعة ساخنة[٦٧]. ويتميز قصير عمرة بالنقوش على الجدران والسقوف، وتتنوع ما بين رسوم صيد واستحمام ونساء شبه عاريات[٦٨]، ورسوم رمزية لألهه الشعر والفلسفة والنصر والتاريخ عند الإغريق، وأخري لبعض مراحل العمر المختلفة، ورسوم لقبة السماء وبعض النجوم، ورسوم لطيور وحيوانات وزخارف نباتية[٦٩]. وترجع أهمية هذه القصر إلى المداميك الحجرية التي بني بها هذا القصر فهي مكسية بطبقة من الملاط وأرضية من الرخام، كما تضم نقوشًا ورسومًا منفذة بطريقة الفريسكو أو الألوان المائية، كما ضمت صورًا للخليفة على عرشه وصورة لأعداء الإسلام. فصورة الخليفة على عرشه شخص جالس على عرش، وحول رأسه هالة، وفوقة مظلة على عاموديين حلزونيين، وإلى جانب عرشه يقف اثنان من الخدم للتهوية على الجالس على العرش، وبأعلى المظلة كتابة من حروف عربية ويونانية. والصورة الثانية فهي صورة لستة ملوك يرتدون ملابس فاخرة، وقفوا في صفين أمامي وخلفي، فوق منهم أربعة كتابات بالعربية واليونانية، وقد استخلص العالم برشم Barchem أن الأشخاص المرسومين في الصف الخلفي هم ملوك أصاغروهم لذريق ملك القوط، والنجاشي ملك الحبشة، وأحد ملوك التركستان، بينما ملوك الصف الأمامي وهم ملوك عظام قيصروكسري وملك الصين. واعتبر برشم أن هؤلاء أعداء الإسلام عامة، والخليفة الوليد بن عبد الملك خاصة[٧٠].

المنشآت الاجتماعية: اهتم الوليد بالمنشآت الاجتماعية وهو أول من اتخذ دار الضيافة للقادمين، وبني البيمارستانات[٧١] للمرضي[٧٢].

نشأة البيمارستانات الإسلامية في العصر الأموي: شهد العصر الأموي تطورًا قليلًا من حيث وجود البيمارستانات الإسلامية ونشأتها، ويقال أنها بدأت في العصر الأموي عندما تم حصار ابن الزبير في مكة، فضرب لها فسطاطًا من ناحية المسجد لمعالجة الجرحى من أصحابه، ويعرف هذا الفسطاط عند العرب بالبيمارستان العربي، يعتبر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان من أوائل من أنشأ البيمارستان الإسلامي بشكله المنظم في عاصمة الدولة الأموية دمشق، فوضع بناء

بيمارستان إسلامي عام (٦٠هـ/ ٦٧٩ م) تحت المئذنة الغربية من الجامع الأموي، كما عثر على بيمارستان إسلامي آخر في منطقة زقاق القناديل في مصر، ولم يعرف من أسسه، ولكنه في آثاره يعود إلى حقبة بني أمية، كما عرف عن اهتمام معاوية بالبيمارستانات المتنقلة الخاصة بالحجيج، وعين لهم الأطباء. يعتبر الوليد بن عبد الملك أول من بني المستشفيات في الإسلام، ففي عام ٨٨هـ / ٧٠٦م، وأن غرض الوليد من بنائها هي أن تكون خصيصًا للاستشفاء، فلا بد أن تكون قد هندست عمارتها كما يتطلبه نوع العمل وراحة المرضي [٧٣].

كما شهد عهد الوليد بن عبد الملك في عام (٨٨ هـ/ ٧٠٦ م) إنشاء أول بيمارستان فِعلي ثابت حين أسكن به العميان وحبس المجذومين حتى لا تنتقل العدوى للعامة، وأجرى عليهم الأرزاق، وجعل لكل مقعد خادم ولكل ضرير قائد، وفي أغلب الظن أن هذا البيمارستان شيد على غرار بيمارستان جنديسابور الفارسي الذي كان لا يزال يعمل في تلك المدة، وعثر على بيمارستان من الأرجح أنه يعود للعصر الأموي في منطقة زقاق القناديل، في أزقة الفسطاط، واستعمل لمرضى الجذام (البرص)، ويعتبر الحجاج أول من اتخذ الملاجئ الخيرية في الإسلام [٧٤].

دار الضيافة بالشام: يعد الوليد بن عبد الملك أول من اتخذ دار الضيافة للقادمين [٧٥].

تعتبر النهضة المعمارية من بناء المدن والقصور والبيمارستانات مدي ما وصل إليه العرب من مجد وحضارة وعمارة تظل شاهدا لهم مدي التاريخ، فإنهم وضحوا للدول التي قامت بعدهم النهج الصحيح للرقي والتقدم، ووضعوا أسس وقواعد مازال الناس ينتهجون منهجهم محاولين التطوير والتغير حتى يكون الأمر أفضل، واتضحت من تلك العمارة الرؤية الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت واضحة في زخارفهم، أما عن الزخارف النباتية التي كانوا يستخدمونها في العمارة ربما كانت ترتبط بمفهوم الحياة وتجديدها والمحافظة عليها. واتضحت تفوق المسلمين في عصر الدولة الأموية عامة وفي عصر الوليد خاصة من خلال تفوقهم في جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والعمارة والفنون، وازدهرت علومهم وثقافتهم وحضارتهم بفضل علمائهم عماد تلك الأمة.

هوامش البحث

(١) ابن الجوزي: ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢، ج٦، ص ٢٦٨.؛ محمد مطيع الحافظ: تاريخ الخلفاء لأبى عبد الله محمد بن يزيد رواية أبي بكر السدوسي عنه "عرض كتاب"، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، أبريل ١٩٧٩، مج ٥٤، ع ٢، ص ٤٢٣.

(٢) ابن الكلبي: هشام بن محمد (ت :٢٠٤هـ): جمهرة النسب، تحقيق: محمود فردوس العظم، تقديم: سهيل زكار، دار اليقظة العربية، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص١٨٥.؛ ابن منظور: محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: أحمد راتب حموش، محمد ناجى العمر، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٩، ج٢٦، ص ٣١٧، ٤٠٤.

(٣) الاختلاف في اسم جدها: هو ما بين "جزئ، جزء" يكتب عند البعض بهذه أو بتلك. فقد ذكرها الكلبى وابن منظور "جزئ" وقد ذكرها العديد من المصادر "جَزْء" وقد أشار ابن منظور إلى ذلك في مختصر تاريخ دمشق أنه "جزي" ولم يذكرها هكذا سوى "الكلبي وابن منظور" وأغلب المصادر قد ذكرته "جَزْء" منهم (ابن سعد، مصعب الزبيري، ابن خياط، ابن يزيد، ...). وقد ذكر الزبيري أنها في الأصل "حزن" وقد ذكرها هكذا ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار " ولادة بنت العباس بن حزن العبسي". ابن سعد: محمد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨، ج٧، ص ٢٢١.؛ ٧٢. الزبيري: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت (ت:٢٣٦هـ): نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٥٣، ج٥، ص١٦٢؛ ابن خياط: أبى عمرو خليفة بن خياط بن أبى هُبَيْرة اللَيْثي العصْفري (ت٢٤٠هـ): تاريخ بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فوّاز، حكمت كشلى فوّاز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥، ص ١٩٠.؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٨.؛ الطبري: أبى جعفر محمد بن جرير(ت:٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٨، ج٦، ص ٤١٩، ٤٢٠. القرماني: أحمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٢، ج٢، ص٣٢.

(٤) ابن خياط: المصدر السابق، ص١٩٠، ١٩٨.؛ ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت :٧١١هـ): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: أحمد راتب حموش، محمد ناجى العمر، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٩، ج٢٦، ص ٣١٧.

(٥) سيدة إسماعيل الكاشف، الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر، سلسلة أعلام العرب (١٧)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ،١٩٦٢، ص١٧، ١٨.

(٦) نفسه: ص١٧، ١٨.

(٧) اليعقوبي: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت:٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبيّ، بريل، ليدن، ١٨٨٣، ج٢، ص٣٥١.؛ المسعودي: أبى الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٨٩٣، ص٣١٧.؛ ابن عساكر: أبي القاسم على بن الحسن بن هِبَةِ الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق (مخطوط)، فهرسة: محمد بن رزق بن الطرهوني، دار البشير، دمشق، د.ت، م١٧، ص ٨٤٠.؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٢٦، ص٣١٨.؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٨.؛ ٦٦. الديّار بكري: حسين بن محمد بن الحسن: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مطبعة العثمانية، القاهرة، ط١، ١٣٠٢.ج٢، ص٣٤٧.

(٨) الدَّعْلَجُ: هو الشاب الحسن الوجه الناعم البدن. ابن منظور: لسان العرب، دار النوادر، الكويت، ٢٠١٠، ج٣، ص٩٧.

(٩) ابن الكردبوس: عبد الملك بن محمد التوزري: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: صالح بن عبد الله الغامدي، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ، ص٩٨٣، ٩٩٤.
(١٠) الذهبي: شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ): دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مَرْوَة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩، ج١، ص٧٦.؛ ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ): الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة أحمد السيد دراج، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٢، ص٦٦.
(١١) فقدْتُ الوليدَ وأنفاً لـه كَنَثْلِ الفَصيل أبى أن يبولاً. ابن عساكر: أبي القاسم على بن الحسن بن هِبَةِ الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق (مخطوط)، فهرسة: محمد بن رزق بن الطرهونى، دار البشير، دمشق، د.ت، م١٧، ص ٨٤٠.؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٢٦، ص ٣١٨.؛ القرماني: أحمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٢، ج٢، ص ٣٢.
(١٢) ابن عساكر: المصدر السابق، م ١٧، ص ٨٤٠.؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٦، ص ٢٦٩.
(١٣) القرماني: المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢.
(١٤) الديّار بكري: المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧.؛ القضاعى: محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ت٤٥٤هـ): تاريخ القضاعي (عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف)، تحقيق: جميل عبد الله المصري، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ١٩٩٥، ص٣٥٠.؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، م ١٧، ص ٨٤٠.
(١٥) الذهبي (ت٧٤٨هـ): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي: دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩، ج١، ص٨٤.؛ ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ): الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة أحمد السيد دراج، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٢، ص ٦٦.؛ ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(٧٠١-٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، ط١، ١٩٩٨م، ج١٢، ص ٦٠٧.
(١٦) سيدة الكاشف: المرجع السابق، ص ١٨.
(١٧) ابن عساكر: المصدر السابق، م١٧، ص ٨٤١.
(١٨) ملطية: هي بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم بلاد الشام. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص١٩٢.
(١٩) ابن عساكر: المصدر السابق، م١٧، ص٨٤١.
(٢٠) ابن قتيبة: أبى محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ): عيون الأخبار، دار الكتاب العربي مصورة عن طبعة الكتب المصرية لسنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م، المجلد الثاني الجزء الرابع "كتاب الطبائع"، ص٢١.
(٢١) سيدة الكاشف: المصدر السابق، ص ١٩.
(٢٢) ابن قتيبة: المصدر السابق، م١، ص١٠.
(٢٣) مسلمة بن عبد الملك: هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (الأمير الضرغام، قائد الجيوش، وكان يلقب بالجرادة الصفراء، وغزا القسطنطينية والترك والسند، وكان ميمون النقيبة، ولِيَ العراق لأخيه يزيد، ثم أرمينية، مات يوم الأربعاء في المحرم سنة ١٢٠هـ بالشام، وقيل

سنة١٢١هـ). الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ج٥، ص٢٤١.؛ ابن خياط: المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٢٤) سورة الأنعام، الآية ٩٤.
(٢٥) المسعودي: أبي الحسن بن على بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ج٣، ص ١٣٣-١٣٤.؛ ابن عساكر: المصدر السابق، م١٧، ص٨٤٢.؛
ابن كثير: المصدر السابق، ج١٢، ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٢٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٢٣.؛ ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧، ج٤، ص٢٣٧.؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٢، ص ٣٩٦.
(٢٧) وقد اختلفت صيغة الخطبة فى المصادر المذكورة وذكرنا الخطبة المذكورة فى كتاب العقد الفريد بسبب شموليته واكتمالها. اليعقوبي: تاريخه، ج٢، ص ٣٣٨.؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٢٣.؛ ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي(ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، د. م، ١٩٥٣، ج٤، ص١٥٤، ١٥٥.؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٣٤.
(٢٨) الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص٤٢٣.؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٢، ص ٤٠٢.
(٢٩) ابن خياط: المصدر السابق، ص١٩٠.؛ الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص٤٢٣.؛ القضاعي: المصدر السابق، ص٣٥٠.؛
ابن عساكر: المصدر السابق، م١٧، ص٨٤٤.

(٣٠) ابن عساكر: تاريخ دمشق، م١٧، ص ٨٤٤.
(٣١) ابن الكردبوس: عبد الملك بن محمد التوزري: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: صالح بن عبد الله الغامدي، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ، ص ٩٨٣.؛ حامد غنيم أبو سعيد: الدولة الأموية، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٣٢١.
(٣٢) فريد محمود شافعي: العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، عمارة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١، ص١.
(٣٣) إبراهيم محمد حسنين: تاريخ الدولة الأموية، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٣، ص٢٣١.
(٣٤) ابن تغري بردي: (ت:٨٧٤هـ): جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٢٩، ج١، ص٢٣٤.
(٣٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص٣٧٦.
(٣٦) ما ورد ذكره في القرآن الكريم وهو اسم آخر لمكة وهو بكة، فقال الله تعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)} سورة آل عمران: الآية ٩٦.

(٣٧) عبد الله عطية عبد الحافظ: الآثار والفنون الإسلامية، د.ن، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٦٩-٧١.
(٣٨) عبد اللطيف بن عبد الله ابن دهيش: عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي - دراسة تاريخية حضارية، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص ٥٥، ٥٦.

(٣٩) الأزرقي: محمد بن عبد الله بن أحمد (ت : ٢٥٠ هـ)؛ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح مجلس، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج١، ص ٣٥٩، ٤٠٠.
(٤٠) الأزرقي: المصدر السابق، ص ٥٩٨.
(٤١) احمد رجب محمد علي: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ص ٤٥.؛ عبد اللطيف ابن دهيش: المرجع السابق، ص ٥٦، ٥٧.؛ محمد ماجد عباس خلوصي: عمارة المساجد "وتصميم وتاريخ وطراز وعناصر خمسة وثمانون مسجدًا"، ب.د، ١٩٩٨، ص ٥٠، ٥١.
(٤٢) شيد المسجد النبوي في عهد رسول الله (ﷺ) عقب هجرته إلى يثرب (المدينة المنورة عقب الهجرة)؛ لكي يكون مقرًا لصلاة المسلمين، ودعامة أساسية في بناء أركان دولة الإسلام، وقد أختار رسول الله (ﷺ) الموضع الذي بركت فيه ناقته التي كان يمتطيها عندما دخل يثرب عند هجرته إليها، واشترى ذلك الموقع، وشيد به مسجده النبوي، وقام ببناء المسجد واشترك مع الصحابة في أعمال البناء. وكان المسجد في بادئ الأمر عبارة عن فناء مربع يبلغ طول ضلعه ٣٥ مترًا تقريبًا، وتحيطه أربعة جدران يبلغ ارتفاعها ٣,٥ مترًا، وشيد أساسيات المسجد في البداية بالحجارة، والجدران بالطوب اللبن، أما القبلة فكانت تجاه الجدار الشمالي (تجاه المسجد الأقصى)، ثم مع تحول القبلة نحو المسجد الحرام تحولت إلى الجدار الجنوبي. وقد أمر الرسول (ﷺ) أن يبنى خارج مسجده من الجانب الشرقي بمحازته مسكنان لزوجاته أمهات المؤمنين (السيدة عائشة بنت أبى بكر، والسيدة سودة بنت زمعة) رضي الله عنهما جميعًا، ثم أضاف بعد ذلك بيوت أخرى لبقية زوجاته، فكانت تلك البيوت منفصلة عن المسجد، ويفصل بينها وبينه طريق عرضه حوالي خمسة أمتار تقريبًا. انظر: محمد حمزة إسماعيل الحداد: عمارة المسجد النبوي الشريف بحوث تاريخية، الجمعية التاريخية السعودية، السعودية، الإصدار الأول، ١٩٩٩، ص ١.
(٤٣) عبد الله عطية: المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٠.
(٤٤) الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص ٤٣٦،٤٣٥.؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١، ص٢١٤.
(٤٥) محمد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٢.
(٤٦) عبد الله عطية: المرجع السابق، ص ٨١.
(٤٧) عيسى القدومي: المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، فلسطين، ط٢، ٢٠٠٨، ص ١٧.
(٤٨) يحيي بن قاسم الفيفي: مسجد قباء قديمًا وحديثًا، مجلة التوعية الإسلامية، السعودية، العدد ١٠، السنة ١٥، ١٩٨٩م/ ذو الحجة ١٤٠٩هـ، ص ٢٥، ٢٦.
(٤٩) نفسه: ص ٢٦.

(٥٠) عبد الله عطية: المرجع السابق، ص ٩٣.
(٥١) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
(٥٢) عفيف البهنسي: الجامع الأموي الكبير أول روائع الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٨، ص ٣٤.
(٥٣) المسعودي: المصدر السابق، ج٣، ص ١٣١، ١٣٢.
(٥٤) عفيف البهنسي: المرجع السابق: ص ٧١.
(٥٥) عبد الله عطية: المرجع السابق، ص ٩٤، ٩٥.
(٥٦) عفيف البهنسي المرجع السابق، ص ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠.، محمد ماجد عباس: المرجع السابق، ص ١٠٣.
(٥٧) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١، ص٦٦-٧٠، ٢١٧، ٢١٨.
(٥٨) تركي محمد النصر: مسجد صنعاء الجامع، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد ٥٣٤ السنة ٤٧، فبراير ٢٠١٠/ صفر ١٤٣١، ص ٨٤.
(٥٩) فتحي محمد فلاح درادكة: القصور والمساجد الأموية في الأردن، رسالة ماجستير، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٠، ص٥، ٦.
(٦٠) عبد الله كامل موسي: الآثار الإسلامية خلال العصر الأموي في شرق وغرب العالم الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠١٣: ص ١٧٢.

(٦١) سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الدولة الأموية، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١١، ص ٣١٥.
(٦٢) عبد الله كامل: المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٥.
(٦٣) نفسه: ص ١٨١، ١٨٢.
(٦٤) نفسه: ص ١٨٥-١٨٧.
(٦٥) م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة: احمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٥٤م، ص ٣٧.، حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة رقم (٣٧)، الكويت، يناير ١٩٨١، ص٩٣.
(٦٦) حسني محمد نوصير: الآثار الإسلامية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، ١٩٩٥، ص ٨٦.
(٦٧) عبد الله كامل موسي: المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٨.
(٦٨) نساء شبه عاريات: عدد من النساء وهن يحملن الاطفال، أو يساعدن بعضهن في الاستحمام وهي أبرز عجائب الرسومات في هذا القصر. انظر فتحي درادكة: المرجع السابق، ص٢٢.
(٦٩) نفسه: ص ١٩٨.
(٧٠) حسني محمد نويصر: المرجع السابق، ص ٨٨، ٨٩. أيضًا: عبد الله كامل موسي: المرجع السابق، ص ١٩٩.
(٧١) البيمارستانات: مفردها البيمارستان (بفتح الراء وسكون السين): وهو كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل، (وستان) بمعنى مكان أو دار المرضى، ثم اختصرت، في الاستعمال فصارت مارستان. انظر مجمع اللغة العربية: المعجم الكبير، الجزء الثاني حرف الباء، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط١، ١٩٨١، ص ٧٣٣.؛ مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية(١-٦٥٦هـ/٦٢٢-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين،٢٠٠٩، ص١٣.
(٧٢) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١، ص٢٣٤.
(٧٣) كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، ج١، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، د.ت، ص ٢٧٠.
(٧٤) أحمد عيسى (بك): تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨١، ص (ج) من مقدمة الكتاب.؛ كمال السامرائي: المرجع السابق، ص ٤١٤.
(٧٥) القلقشندي: أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبدالله: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٥، ج١، ص ٤٣١.؛ أحمد عيسى: المرجع السابق، ص ٢٠٣.؛ عبد الله كامل موسي: المرجع السابق، ص ١٩٣.؛ مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص ١٥، ١٦.